

أضواء البيان

@ 257 سُـلِّـمُ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَا يَأْتِيهِمْ مُسْتَمِعُهُمْ بِرُسُلِ طَانٍ { إلى غير ذلك من الآيات . والاستثناء في هذه الآية الكريمة في قوله : { إِلَّا مَن اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتَىٰ تَبِعَهُ شَهَابٌ مَّبِينٌ } . قال بعض العلماء هو استثناء منقطع وجزم به الفخر الرازي أي لكن من استرق السمع أي الخطفة اليسيرة فإنه يتبعه شهاب فيحرقه كقوله تعالى : { وَيُقَذَّفُونَ مِّن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتَىٰ تَبِعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ } وقيل : الاستثناء متصل أي حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئاً من الوحي وغيره إلا من استرق السمع فإننا لم نحفظها من أن تسمع لخبر من أخبار السماء سوى الوحي ، فأما الوحي فلا تسمع منه شيئاً لقوله تعالى : { إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ } قاله القرطبي ، ونظيره { إِلَّا مَن خَطِفَ } فإن استثناء من الواو في قوله تعالى : { لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا لَى الْمَلَأِ } . . تنبيه .

يؤخذ من هذه الآيات التي ذكرنا أن كل ما يتمشـدق به أصحاب الأقمار الصناعية من أنهم سيصلون إلى السماء ويبنون على القمر ، كله كذب وشقشقة لا طائل تحتها ومن اليقين الذي لا شك فيه أنهم سيقفون عند حدهم ويرجعون خاسئين أذلاء عاجزين { ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنَ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } ووجه دلالة الآيات المذكورة على ذلك أن اللسان العربي الذي نزل به القرآن يطلق اسم الشيطان على كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب ومنه قوله تعالى : { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا مَنذُورًا قَالُوا أَمَٰنٌ وَإِذَا خَلَاوُاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَمِعُونَ } ، وقوله : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (الكلب الأسود شيطان) وقول جرير : (أيام يدعوني الشيطان من غزلي % وكن يهوينني إذ كنت شيطانا) % .

ولا شك أن أصحاب الأقمار الصناعية يدخلون في اسم الشياطين دخولاً أولياً لعتوهم وتمردهم . وإذا علمت ذلك فاعلم أنه تعالى صرح بحفظ السماء من كل شيطان كائناً من كان في عدد آيات من كتابه كقوله هنا : { وَحَفِظْنَاهَا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } .

